

آثار الإيمان

الحمد لله الذي بنعمته اهتدى المهتدون، وبعده ضل الضالون. لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون. أحمده سبحانه حمد عبد نزه ربه عما يقول الظالمون.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وخليه الصادق المأمون.

اللهم صل على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما كثيرا.

يا رب أنت خلقتني وبرأتني جمّلت بالتوحيد نطق لساني

وهديتني سبل السلام تكرمًا ودفعتني للحمد والشكران

وغمرتني بالجود سيلاً غامراً وأنا أقابل ذاك بالكفران

أنت الكريم وباب جودك لم يزل للبذل تعطي سائر الأحيان

أنت الحلیم بنا وحلمك واسع أنت الحلیم على المسيء الجاني

أنت القوي وأنت قهار الوری لا تعجزنك قوة السلطان

أنت الذي آويتني وحبوتني وهديتني من حيرة الخذلان

ونشرت لي في العالمين محاسناً وسترت عن أبصارهم عصياني

عباد الله: لا ينبغي أن يكون الإيمان أمراً هامشياً في الحياة، بل هو قضية

القضايا، إنه سعادة الأبد، وإن عدمه لشقاوة الأبد، إنه لجنة أبدأ

لصاحبه، والنار أبدأ لمن تنكبه؛ فليفكر الإنسان في حقيقة الإيمان وأثره

على الحياة؛ حتى يطمئن القلب، وينشرح الصدر، وتسكن النفس، خصوصاً ونحن في عصر أصبح الناس يجرون وراء المنفعة الدنيوية لاهئين، حتى إن كثيراً منهم ليرون الحق فيما ينفعهم ويتفق مع أهوائهم لا فيما يطابق الواقع أو تقوم الدلائل والبراهين على صحته: ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾.

الفرد بلا إيمان ريشة في مهبّ الريح، لا تستقر على حال، ولا تسكن إلى قرار، الفرد بلا إيمان إنسان لا قيمة له ولا جذور، إنسان قلق متبرّم حائر، لا يعرف حقيقة نفسه ولا سر وجوده، لا يدري من ألبسه ثوب الحياة؟ ولماذا ألبسه إياه؟ ولماذا ينزعه عنه بعد حين؟

الفرد بلا إيمان: حيوان شره، وسبّع فاتك مفترس، بقلب لا يفقه، بأذن لا تسمع، بعين لا تبصر، بهيمة بل أضل.

وأما المجتمع؛ فالمجتمع بلا إيمان مجتمع غابة وإن لمعت فيه بوارق الحضارة. المجتمع بلا إيمان مجتمع تعاسة وشقاء وإن زخر بأدوات الرفاهية من الرخاء.

المجتمع بلا إيمان مجتمع تافه مهين رخيص، غايات أهله لا تتجاوز شهوات بطونهم وفروجهم: ﴿يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾.

فهنيئاً لكم الإيمان، وهنيئاً لكم القرآن، وهنيئاً لكم التوحيد، وهنيئاً لكم الإسلام، هنيئاً لكم يوم يغدو النصرى إلى بيوت الصلبان، ويغدو اليهود

إلى بيوت الشيطان، ويغدو المجوس إلى بيوت النيران، ويغدو المشركون إلى بيوت الأوثان، ثم تغدون أنتم إلى بيوت الرحمن: ﴿فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾. فاللهم لك الحمد على نعمة الإيمان.

يا عباد الله: الإيمان نفحة ربانية يقذفها الله في قلوب من يختارهم من أهل هدايته، ويجعل قلوبهم تتعلق بمحبته، وتأنس بقربه، فالمؤمنون في رياض المحبة، وفي جنان الوصل يرتعون ويمرحون، أحبهم الله فأحبوه، فاتبعوا نبيه ورضي عنهم فرضوا عنه، تقربوا منه بالصالحات، فدنا منهم بالمغفرة والرحمات؛ كما في الحديث القدسي: **(ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه).** أخرج البخاري.

الإيمان شعور يختلج في الصدر، ويلمع في القلب؛ فتضيء جوانب النفس، ويبعث في القلب الثقة بالله، والأُنس بالله، والطمأنينة بذكر الله: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾.

الإيمان شعور بأنك ذرة في كون عظيم هائل متجه إلى الله، يسبح لله، ويخضع لله، ويؤمن بالله: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ فسبحان من آمن له الكون أجمعه! وسبحان من سبّح له الكون كله: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾. قال ﷺ: **(إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، أطّت السماء وحُقّ**

لها أن تتط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك ساجد أو راکع، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيراً، ولما تلذذتم بالنساء على الفُرش، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله -وفي رواية- ولحثوتم على رءوسكم التراب). أخرجہ الترمذی.

خَلَقَ عَظِيمٌ هَائِلٌ لَا يَحْصِيهِمْ إِلَّا خَالِقُهُمْ سُبْحَانَهُ، وَظَيْفَتُهُمُ التَّسْبِيحُ وَالتَّعْظِيمُ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْبِحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقٌّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّكْرِمٍ﴾.

هل جندت نفسك -أخي في الله- لتكون من أهل هذا الموكب المسبح السائر إلى الله.

ومن آثار الإيمان: الثبات بكل صوره ومعانيه عند الشدائد والمحن، الثبات يوم تمتحن الأمة بأعدائها، والثبات للداعي في دعوته، والثبات للمصاب عند مصيبتة، والثبات للمريض عند مرضه، والثبات أمام الشهوات، والثبات أمام الشبهات، والثبات على الطاعات ها هو صلى الله عليه وسلم وهو يحمل الإيمان في صف، والبشرية كلها في صف مضادٍ فانتصر بالإيمان، وصدع بالحق لا يرده عنه رادٌ ولا يصدده صادٌ، فوقع قريش منه في أمر عظيم، فإذا بأحد صناديدها يقول: **يا معشر قريش! لقد وقعتم من محمد في أمر عظيم، لقد كان غلاماً حَدَثًا، أرضاكم فيكم، وأصدقكم حديثاً، وأعظمكم أمانة، حتى إذا رأيتم الشيب في صدغيه، قلت: شاعر،**

ما هو والله بشاعر، قلت: ساحر، ما هو والله بساحر، قلت: كاهن، ما هو والله بكاهن. يا معشر قريش! إنكم قد نزل بكم أمرٌ عظيم فاجتمعوا له. فاجتمع صناديد الشرك وسَدَنَةُ الوثنية، اجتمعوا يقود مؤثرهم إبليس، نعوذ بالله منه. قالوا في اجتماعهم: انظروا رجلاً منكم هو أعلمكم بالسحر والشعر والكهانة فليذهب إلى محمد، قالوا: ما نرى مثل أبي الوليد عتبة بن ربيعة. فذهب عتبة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان بليغاً، وفصيحاً، جمع مقالاتهم في مقالة واحدة، وقال: يا محمد! أنت خير أم أبوك؟ فسكت صلى الله عليه وسلم قال: أنت خير أم جدك عبد المطلب؟ فسكت النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إن كانوا خيراً منك فقد عبدوا ما عبدنا، وإن كنت خيراً منهم فقل. ثم قال يا محمد! إن كان بك المُلْكُ مَلَكْنَاكَ، وإن كان بك المال أعطيناك من أموالنا ما تشاء، وإن كان بك الباءة وحب النساء زَوَّجْنَاكَ ما تشاء من بناتنا. يا محمد! ما رأينا شخصاً -قط- أشأمَ على قومه منك، والله ما ننتظر إلا مثل صبيحة الحبلى، فيثور بعضنا على بعض، يا محمد! أخبرنا ما تريد؟ فقال صلى الله عليه وسلم: (أفرغت يا أبا الوليد؟) ويا للأدب منه صلى الله عليه وسلم! يا للأدب يوم تركه حتى انتهى من كلامه، ثم شرع صلى الله عليه وسلم يرتل آيات الله البينات، تسقط كالقذائف على دماغ هذا الرجل، شرع يقرأ من أوائل سورة فصّلت: ﴿حَمَّ * تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ

لَا يَسْمَعُونَ * وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْ إِنَّا عَامِلُونَ ﴿١٠﴾.

سمع كلاماً ما هو بالسحر، ولا بالشعر، ولا بالكهانة، ألقى هذا الكافر يديه خلف ظهره، وأخذته رعدة مشدوهاً مبهوراً بما يسمع، يسمع القرآن من فم من أنزل عليه القرآن. حتى إذا بلغ قول الله جل وعلا: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾.

فخاف وارتعد وأخذته الرعدة ووضع يده على فم المصطفى صلى الله عليه وسلم، وقال: أنشدك الله والرحم إلا صمّت! أنشدك الله والرحم إلا صمّت! خرج مذعوراً خائفاً راجعاً إلى قومه بغير الوجه الذي ذهب به من عندهم، فلما رأوه قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: لقد سمعت من محمد حديثاً ما هو بالسحر، ولا بالشعر، ولا بالكهانة، ورب هذه الكعبة ما عقلت من حديثه إلا قوله: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾.

فوضعت يدي على فمه خوفاً أن ينزل بكم العذاب، ولقد علمتم أن محمداً إذا حدث حديثاً لم يكذب ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾. جحدوا بذلك.

هل استقاموا لرسول الله صلى الله عليه وسلم؟ هل انتفعوا بالآيات؟ لم ينتفعوا بذلك، فهل سلم منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم - بأبي هو وأمي -؟ لا والله! بل ناصبوه العداً كأشد ما يكون، وأروه الأذى كأقذع

ما يكون الأذى، وضعوا سلى الجزور على ظهره صلى الله عليه وسلم، بل أخرجوه من مكة، ودموعه على وجنتيه صلى الله عليه وسلم وهو يقول: **(والله! إنك لأحب البقاع إليّ، ولولا أن قومك أخرجوني ما خرجت).** إسحاق بن راهويه في مسنده.

ومع ذلك فقد ثبت صلى الله عليه وسلم بالإيمان، فنصره الله، ونصر دينه، وأعلى كلمته، فما من مئذنة الآن إلا وهي تقول في اليوم خمس مرات: أشهد أن محمداً رسول الله ويأتي صحابته رضوان الله عليهم ومن بعدهم ليثبتوا بالإيمان ثبات الجبال الراسية.

** ** *

الخطبة الثانية

ومن آثار الإيمان: نبد كل ما يفرق الأمة من قوميات وعصبيات وعنصريات ونعرات جاهلية؛ فالمقياس عند المؤمنين حقاً؛ التقوى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ.

لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى، فنحن جسد مؤمن واحد، وبنيان واحد، وأمة واحدة لا شرق ولا غرب.

ومن آثار الإيمان على حياة الناس: تنقية قلوبهم من الحسد، وتصفيتها من الحقد والغل، واستئلال الضغائن والسخائم منها؛ لتصبح الأمة كما قال رب العالمين: ﴿أَشَدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾.

ومن آثار الإيمان على حياة الناس: أنه عصمة وحجاب عن المعاصي والشهوات يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن).** متفق عليه.

ها هو الشاب القوي الحَيِّي العالم الذي يبلغ ثلاثين سنة؛ إنه الربيع بن خثيم، يتمالئ عليه فُسَّاق لإفساده، فيأتون بغانية جميلة، ويدفعون لها مبلغاً من المال قدره ألف دينار، فتقول: علام؟ قالوا: على قبلة واحدة من الربيع بن خثيم، قالت: ولكم فوق ذلك أن يزني؛ لأنه نقص عندها منسوب الإيمان.

فما كان منها إلا أن تعرضت له في ساعة خلوة، وأبرزت مفاتها له، فما كان منه إلا أن قال: يا أمة الله! كيف بك لو نزل ملك الموت فقطع منك حبل الوتين؟! أم كيف بك يوم يسألك منكر ونكير؟! أم كيف بك يوم تقفين بين يديّ الرب العظيم؟! أم كيف بك إن شقيت يوم تُرْمَيْن في الجحيم؟! فصرخت وولّت هاربة تائبة إلى الله عابدة زاهدة حتى لَقِبَتْ بعد ذلك بعبادة الكوفة، وكان يقول هؤلاء الفُسَّاق: لقد أفسدها علينا الربيع. فما الذي ثَبَّت الربيع أمام هذه الفتنة؟ هل هي قلة الشهوة؟ إنها الشهوة العظيمة، إذ هو في سن أوج الشهوة وعظمتها - سن الثلاثين - ومع ذلك ما الذي ثبته هنا، وما الذي عصمه بإذن الله؟ إنه الإيمان بالله الذي لا إله إلا هو.

الإيمان - يا أيها الأحبة- كالجمرة، متى ما نفخت بها أضاءت واشتعلت؛
فأصبحت إضاءتها عظيمة.

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ
وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

اللهم صل وسلم وبارك وأنعم على سيد الأولين والآخرين، ورحمة الله
للعالمين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى آله الطيبين الطاهرين،
وصحابتة الغر الميامين، وأزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين، والتابعين ومن
تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بمنك وكرمك وجودك يا أجود
الأجودين ويا أكرم الأكرمين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، ودمر أعداء الدين،
واجعل هذا البلد آمنا مطمئنا وسائر بلاد المسلمين، اللهم آمنا في
أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، اللهم اجعل ولايتنا فيمن خافك
واتقاك واتبع رضاك، برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم وفق ولي أمرنا بتوفيقك، وأيده بتأييدك، واجعل عمله في رضاك،
اللهم ارزقه البطانة الصالحة الناصحة، وجنبه بطانة السوء الطالحة.
اللهم إنا نسألك الجنة، ونعوذ بك من النار، يا عزيز يا غفار.